قصة اجتماعية

يتيمة !!

بقلم : سمـير

— نعيمة

— نعم يا بابا

— هاتى الكرباج

ومن أقصى غرفة السطح برزت من بين أثاثها الرث القليل فتاة هزيلة صفراء اللون أسرعت بها قسوة الأيام فنقلتها على جناح البؤس والألم إلى سن الكهول وإن كانت فى الواقع لم تتعـد العشرين . قامت الفتاة استجابة لرغبة أبيها الذى أنف أن يطأ بقدمه أرض الغرفة ، فوقف فى مدخلها والغضب ينشره ويطويه ، ووجهه المكتنز السمين يحمر وينعقد فيه الدم ، ومن ورائه وقفت زوجته التركية الفارعة التى تحوى فى قبح وجهها الدميم معشار ما تكنه من سوء أخلاقها وسواد نفسها .

وقفت من ورائه تنظر إلى الفتاة المسكينة متشفية متلذذة بمنظرها الأليم ، وقد أخذت الفتاة تنتفض وأوصالها من الرعب ترتعد .

ارتفع الكرباج فى الهواء ليستقر بشـدة وعنف وغيظ على الجسـد الواهن الضعيف ، فيحيط به كالثعبان ، وينال بإلامائه الحمراء القانية من جسد الفتاة الضامر المنهوك ، فيتوهج لحمها ، وإن شئت التدقيق فقل جلدها ، كما يتوهج اللحم على السفود فوق النار .

كان وجه الفتاة شـديد الامتقاع كوجوه الموتى ، والعـرق يلتمع على وجهها الأخضر المضيم وشفتاها مطبقتان ببؤس وألم بينما أبوها يستأنف عمله . وما زال السوط يرتفع ويفرقع فى الهواء ، ويهبط على الجسد الآدمى الحى فيمزقه ، حتى لم تعد الفتاة تحس بالألم ، ثم طوح

بالسوط جانبا وركل فتاته ركلة قوية ، بينما تقدمت منه زوجته التى هدأ قلبها واستراح ، تسرى عنه ما بذله من جهد فى توقيع الجزاء ، ثم صحبته إلى الدور الأسفل حيث مسكنها الناعم الفخم الوثير .

لم تكن هذه هى المرة الأولى التى زار السوط فيها جسد الفتاة زياراته الدامية ، لا ولم تكن الثانية ولا العاشرة ، فكثيرا ما نال السوط من جسدها الناحل بمجرد أية شكوى تصبها زوجة أبيها فى أذن زوجها بطريقتها الشيطانية التى تحمل اللين فى ظاهرها ، وتخفى فى باطنها السم الزعاف ، وكأنما الرجل كان يجد فى شكوى زوجته فرصة للانتقام من ابنته اليتيمة ، فسرعان ما يهرع إلى حجرتها فى سطح المنزل ، وهناك تتكرر المأساة .

ومضى الليل إلا أقله ، والفتاة غارقة فى إغمائها ، إلى أن لفحت برودة الجو المتدافعة من النوافذ العارية جسدها النحيل ، فارتجفت مرات ، ثم استفاقت لتجد نفسها فى الظلام الدامس كالمعتاد لا أم تواسيها وتحنو عليها ، ولا جليس يخفف من آلامها وتعاستها ، وأخيرا لا قبس من النور يبدد وحشتها فى غرفتها العارية كقبر هجره الموتى .

نظرت حولها فى خوف وألم وقد زادتها ظلمة المكان رهبة وحيرة ، ثم تحاملت على نفسها وقامت تتحسس الجدران بيديها كى تصل إلى المصباح الصغير ذو الفتيلة الخابية .

ولكن سرعان ما انطفأ فى نفسها الأمل العارض عندما تبينت أن المصباح فارغ قد نضب منه البترول ، وإذن فقد قضى عليها أن تظل ليلتها فى الظلام حيث إنها لا تستطيع أن تنزل الى المطبخ فى هذا الوقت المتأخر من الليل لاستحضار بعض البترول خيفة أن تستيقظ زوجة أبيها الطاغية التى حرمتها من وصول التيار الكهربائى الى غرفتها العارية نكاية فيها وتحقيرا لها .

وقفت المسكينة تتنهد فى حرقة تفتت القلوب ، واقتربت من النافذة ، فى خطوات متعثرة ، ثم ألقت بنظرها على صفحة السماء فوجدتها حالكة السواد تماما كقلب زوجة أبيها وكأنما اتفقت مع القدر العابث على اصطناع هذه الظلمة القاتلة خصيصا للفتاة التعسة .

فقدت الفتاة آخر قوة لها فى المقاومة ، فألقت بجسدها على المقعد الوحيد بالحجرة ، واستندت بمرفقيها على حافة النافذة ، ثم أخذت تحملق فى الفضاء الحالك ، فعادت بها الذكرى الى أيام الطفولة ، وأخذت قصة حياتها تترى وترسم أمامها فى الأفق المظلم صورا متتابعة كشريط سينمى لدرامة هائلة مروعة .

رأت كيف قضت طفولتها فى رغد مع أمها المحبوبة ، وكيف كانت الأم الراحلة ترعاها وتحنو عليها وتحيطها بكل أنواع الترف والأبهة ، وكيف كانت أمها تجلس على أريكتها الطويلة فتجلسها على ركبتيها وقد زينت ابتسامتها وجهها الجميل وأخذت تصغى اليها بأذن متلهفة وتعلق على كلامها بصوت كله حنو وعطف وحب ، والفتاة تقول لها :

ـ أماه ضمى ذراعيك حولى ، ورأسى على صدرك ، كم أنت رحيمة يا أماه .

ورأت كيف تبدلت بعد ذلك الأحوال ، وزأر الدهر وكشر عن نابه ليثب على فريسته كى يلتهمها . ففى يوم حزين انفطر قلب الفتاة المسكينة عندما ولت أمها بعد مرضها الطويل ، وكانت حتى اللحظة الأخيرة ، تنظـر إليها فى حسرة وألم ثم ختمت حياتها بالدعاء لابنتها كى يحفظها الله من قسوة الأيام بعد أن أخذت من زوجها الراكع بجوارها عهدا بأن يرعى ابنتهما ويجعلها أمانة فى عنقه إلى يوم يتقابلان .

ورأت كيف أن الأب لم يحترم العهد أكثر من شهور معدودة تبدلت بعدها الأحوال عند مجىء الزوجة الجديدة اللعوب ، إذ بدأ الحنو والعطف يتبدلان بسعير من جهنم وأتون من الجحيم ، فلا عين ترعاها ، ولا كلمة رقيقة تنفس عنها ، ولا ذراع يلتف حولها أو صدر يستند اليه رأسها . حياتها تمضى فى خطوات متثاقلة فى بطء مرير ، فلا موت يخلصها من ظـلم الأيام ولا قبس من الأمل يضىء لها فرسخا من الزمان ويزيح عن نفسها سجوف الذل والحرمان .

استنجدت بالدموع ، ولكن الدموع قاسية ، لا تطاوع غير أصحاب الهموم الهينة ، وهذه الفتاة همومها من النوع القاسى ، فلم لا تكون هى أيضا قاسية ؟ أجل لقـد قست وأقسمت أن تظل مكانها عاصية ، تأبى أن تنزل من مكانها لتفرج كربتها ...

استنجدت بالنوم ، وهل خلق النوم لعينين مثل عينيها ؟ كلا ... وهل طاوعها بسهولة من قبل حتى يطاوعها الليلة ؟ ... كلا . لقد أبى النوم كذلك أن يزور أجفانها المسهدة . وكأنما عينيها لاتريدان أن تبعدانهـا عن التطلع إلى صحائف حياتهـا وهى تتتابع متلاحقة متدافعة ...

وعندما أوشكت تباشير الفجر أن تنبلج ، وانطلقت الطيور من تحت أجنحة أمهاتها الدافئة تبحث عن رزقها فى الأرض ، تذكرت الفتاة واجبها الذى يحتم عليها الاستيقاظ فى الفجر كل يوم لمسح أرضية المنزل جميعها قبل أن تستيقظ النائم زوجة أبيها لتناول الإفطار وتجود بما يتبقى منه على الفتاة المنكوبة كى تتبلغ به .

اهتز كيانها عند ما تخيلت قدميها النحيلتين وهما تغوصان فى الماء القذر كل يوم ، وكيف أن برودة الماء تفعل فى هاتين القدمين ما يجعلهما تكاد ان تتجمدان ، وكيف أنها أصيبت بروماتزم مزمن أصابها من سنوات ولا من أحد يحاول أن يعطف عليها بدواء يعينها على الشفاء . طبعا لا أحد ، فمن ذا الذى يهمه أن تشفى ، ولماذا تشفى ؟ فلتمت ، ترح وتستريح . ولكن الموت عزيز ، له أساليبه ، وله طرقه فى الاختيار .

وعادت بها الذكرى إلى أمها العطوف وكيف كانت تلبسها أجمل الثياب وأجود الأحذية وأفخمها ، وكيف كانت تعنى بقدميها دائما فتدفئهما فى جوارب صوفية غالية ، وكيف أن مربيتها العجوز كانت تقول لأمها ذات يوم :

— بلاش ياهانم الشرابات الصوف دى بعدين الهانم الصغيرة تاخد عليها لما تكبر .

فتبتسم الأم فى جمال ملائكى وتجيبها :

— الطفلة ضعيفة يا أم محمد ولازم نعتنى برجليها . هوه أنا عندى كام بنت غيرها ؟

وقارنت بينها اليوم وبين أيام مضت عند ما كانت لا تستيقظ إلا على قبلة من فم أمها الطهور ، وقد ملأت شمس الصباح الذهبية جوانب غرفتها الأنيقة .

وتدافعت الذكريات وتزاحمت فى رأسها الصغير ، فثارت على تلك الحياة الوضيعة التى قضت فيها خمس عشرة سنة تسير على وتيرة واحدة لا تتغير ولا تتبدل ، وثارت على حجرتها الحقيرة التى يذكرها كل ما فيها بآلامها وحياتها التعسة ، وشعرت أن الحجرة قد امتلأت دخانا ضاقت نفسها عن احتماله ونفورها من البقاء فيها .

وسرعان ما أرتسمت فكرة الفرار فى مخيلتها ، وسرعان أيضا ما استسلم لها القلب الباكى الحزين ، فلم تجد إلا تنفيذها وسيلة تنقذها من نكبتها ، فمدت يدها تبحث عن الحذاء البالى تلبسه على عجل ، ثم بحثت عن قطعة ممزقة من ثوب قديم سترت به ظهرها المغطى بثوب خلق رث . . . وخرجت دون أن تودع غرفتها التى شهدت آلامها ووعت أحزانها ، وقد تسرب اليها بصيص ضئيل من النور الخارجى .

وما هى إلا لحظات حتى حجبت ممرات الطريق المتشعبة طيفا ناحلا يجرى ويتلفت .

*
* *

ومرت الأيام وتبعتهـا السنون ، والقدر يتصرف بضحيته كما يشاء يوجهها كما يحلوله مسجلا خطواتها المتعثرة فى أوحال التعاسة فى سجله الأزلى الخالد .

وفى نهاية العام المـاضى انتهت آخر صحيفة من صحائف السجل الخاص بقصتنا هذه بعد أن ظلت خمس سنوات تتوق الى تعرف نهايتها .

وكان ذلك فى إحدى بلدان الوجه البحرى بضيعة وجيه من كبار الوجهاء كان قد أقام الزينات والأعلام فى طول البلدة وعرضها احتفالا بعودة ابنه الوحيد من أوربا بعد انتهاء مدة التعليم ، فكان السـائر يرى نساء الضيعة ورجالهـا قد قاموا على بكرة أبيهم كل مسرع إلى قضاء بعض الأعمال الخاصة بالاحتفال وكأن هذا اليوم هو يوم الجميع فساهم كل منهم فيه بنصيب وافر ، وليس فيهم من لم يظهر البشر والابتهـاج على وجهه الفطرى البرئ فى غدواته وروحاته وكأنهم جميعا قلب واحد لإنسان واحد .

كان هـذا الاستعداد يجرى على قـدم وساق من ثلاثة أيام مضت إلى أن أشرقت شمس اليوم الرابع على البلدة وهى تبدو كالعروس فى ليلة الزفاف ، ومع ذلك فقد مر هذا اليوم أيضا فى حركة دائبة ونشاط متوثب ، وزينت المحطة بأجمل الزينات ، ولبست حلة زاهية من مختلف الورود والرياحين والثريات الملونة الجميلة .

وما أن أوشكت الساعة على الرابعة حتى كان القوم جميعا وقوفا فى فناء المحطة منتظرين قدوم القطار بشوق ولهفة ؛ إذ أن فى إحدى درجاته فتاهم المحبوب مع والده العظيم وخلص أصدقائه الذين ذهبوا معه لانتظـار وصول الباخرة والعودة بالبك الصغير إلى أرض آبائه وأجداده .

ومرت الدقائق فى بطء كعادتها فى أويقات الانتظار إلى أن هل أخيرا القطار من البعد يتبختر مزهوا بمن يحمل ويسير فى خطوات متكبرة رزينة ... وقلوب القوم تخفق مع خطواته وتتزايد دقاتها فرحا وشوقا .

وبدوا وهم يتدافعون بالمناكب لكى يكون لكل منهم شرف رؤية القادم أولا ، بينما ارتفعت الزغاريد من كل جانب واختلطت بنغمات الموسيقى التى كانت تصدح بأجمل ألحانها .

وأخيرا وقف القطار وبدا وجه القـادم مطلا من إحدى نوافذ عربة البولمـان يحيط به رهط من أصدقائه ومعارفه ، وقد ظهرت على وجهه بسمة تعبر عن أسمى المعانى وأرق

الأحاسيس ، وأحاط القوم بالقطار مسرعين وما أن غادره عصام إلى فناء المحطة حتى انهالت عليه التهانى والورود وحتى كان محمولا على قلوب خافقة بالحب والسعادة ، الى أن خرج أو قل خرجوا به من الباب الكبير والازدحام الشديد يكاد يزهق أنفاسه، وهناك كانت جملة سيارات تقف فى الانتظار تتقدمها سيارة زوجة الوجيه ووصيفتها ... وأسرع عصام الى هذه السيارة فى لهفة وحنين كى يرتمى بين أحضان أمه التى كادت تموت من فرط السعادة ... وتصايح الجميع بينما سرع من قدموا معه الى بقية السيارات التى نهبت الأرض بهم إلى السراى العظيمة بين هتاف القوم وصياحهم ... وسمح الجميع للوجيه الكبير أن يصاحب ابنه فى سيارة أمه كى يتم هناء قلبه بسعادة اللقاء . .

والتفت عصام الى فتاة جميلة حيية تحمل باقة جميلة من الزهور قبعت فى ركن السيارة بجانب والدته التى كادت تخفيها من فرط سمنتها، وقال : آه لم تقدمينى الى الآنسة ياوالدتى.

— إنها ... إنها ... صديقتى الصغيرة يا عزيزى .

ولكز الأب ابنه يقدمه وهمس فى أذنه : إنها وصيفة أمك ياعصام وسأخبرك بشأنها فى المنزل.

بهت الشاب لما كان يبدو على وجه الشابة من نبل يبعدها عن طائفة الخدم ... لأن الوصيفة فى نظره لم تكن إلا خادمة نظيفة ... وهذه الفتاة ... أجل هذه الفتاة ... ياإلهى إنه قد رآها من قبل ... ويشعر أنه يعرفها ... أجل إنه يعرفها مافى ذلك من شك ... ولا بد له من أن يتذكر أين رآها ... وسبح مع أفكاره فى عالم الماضى فكاد ينسى من حوله ... ولم يستفق إلا على كلمات والده : ها قد وصلنا يا بنى الحبيب إلى بيتك القديم .

ونسى الشاب ما كان يفكر فيه بعض الوقت وطغت عليه سعادة الحنين بالعودة الى الوطن عندما شاهدت عيناه المنزل الكبير الذى تربى فيه صغيرا وفارقه يافعا ثم عاد اليه شابا كاملا ... ودخل يحف به رهط من الأصدقاء وهو ينظر الى كل جهة من جهات المنزل بحب وشغف ويكاد يلمس كل شىء تقع عليه عيناه اللتان امتلأتا بدموع الفرح إلى أن وصل الى حجرته فى الطابق الثانى نفس الحجرة التى فارقها قبل السفر ... فاستأذن من الجميع وارتمى على فراشه الناعم فى استسلام حبيب وراحة قدسية لايمكن أن تعبر عنها الكلمات .

وطالعه فى غفوته القصيرة وجه الفتاة وصيفة أمه ودهش كيف لم يسأل عن اسمها ... إنها كانت تحمل طاقة الزهر له من غير شك، ومع ذلك لم تجرؤ على تقديمها له لأنه شغل بمعانقة أمه عن النظر إليها . ليته يعرف اسمها كى يتذكر أين رآها ... لأنه لم يشك لحظة فى أن هذا

الوجه أليف لديه ... ان أمه هى التى يمكنها أن تعينه على الذكرى ، فليذهب إليها ويسألها عن ذلك .

وغادر فراشه وكان لم يزل بملابس السفر وذهب إلى أمه فى حجرتها التى لم يكد يدخلها حتى غادرتها الفتاة الجميلة مسرعة فى أدب وأغلقت الباب وراءها . وأسرع إلى أمه يسألها : لم لم تخبريني يا أماه بشئ كثير عن هذه الفتاة ؟ فارتبكت الأم وأجابت : إنه لم يمض على قدومك ساعات يا بنى المحبوب ، فلم أجد وقتا بعد للكلام معك فى هذا الشأن ، وأنت ترى أنك مازلت بملابس السفر ...

فنظر إلى ملابسه فى خجل وقبل جبينها وأجاب : آه — آسف ياوالدتى — لقد أنستنى فرحة العودة إلى الوطن أن أخلع ملابسى — ومع ذلك فقد رأيت أن آتى إليك لقضاء بعض الوقت قبل بدء الحفلة .

— انى جد سعيدة يا ولدى العزيز .

وبعد حوار قصير عاد إلى القول — لا أنكرك ياوالدتى بأن وجه فتاتك مألوف لدى . وانى لواثق من أنى رأيته من قبل .

— ان هذه هى أقوال أبيك أيضا ياعزيزى ، ومع ذلك فاننا لانعرف الكثير عنها ، فهى رغم أدبها الجم وأخلاقها العظيمة فتاة غامضة لا تكاد تفوه بكلمة واحدة عن ماضيها .

— ماضيها — إذن أنتم لا تعرفون من أين هى ؟

— ان والدك قد أحضرها إلى من خمس سنوات عند ما كان حاضرا من دورة البرلمان ولها قصة صغيرة محزنة ، ولولا لطف الله ورحمة والدك لما كان لها الآن أثر فى الحياة .

— وكيف ؟ ... خبريني بالله عليك بكل قصتها .

— أخبرنى والدك أنه بينما كان ذاهبا إلى القاهرة فى صباح يوم ذهابه إلى البرلمان إذ اقتربت سيارته من ازدحام كبير بالقرب من النيل فخشى أن يكون فى الأمر حادثة وفعلا أمر السائق بالوقوف ونزل ليستفسر بنفسه عما حدث . فوجد القوم يحيطون بجسد فتاة ناحلة فى ثوب مهلهل مبال بالماء وهم وقوف وكأن على رءوسهم الطير بعد أن أنقذها بعضهم من الغرق فأسرع والدك أبقاه الله إلى الفتاة ، ولما تأكد من دقات قلبها البطيئة كأنها على قيد الحياة حملها مع القوم إلى سيارته وذهب بها إلى أقرب مستشفى حيث تركها وترك اسمه وعنوانه هنالك بعد

أن أوصى بعالجتها على نفقته، وعاد إليها بعد أسبوع فوجد أن حالتها تمكنها من مغادرة المستشفى برغم ضعفها الشديد وأراد أن يستعلم من الطبيب عن أقوال الفتاة فعلم منه بأنها باتت طول ليلتها الأولى تهذى بكلمات غير مفهومة ومع ذلك فقد أصرت على عدم الحديث عندما استفاقت، ويخيل إلى أنها تنوى أن تكتم أمرها عن الجميع حتى إن رجال التحقيق قد حاروا فى سؤالها أياما، وليس لديها من أقوال غير أنها وحيدة ولا أهل لها وقد زهدت الحياة فحاولت التخلص منها .

وصحبها والدك إلى هنا بعد إلحاح، وبعد أن عرفها بأنها ستكون فى منزله كابنة له، ورفضت الفتاة أن تعيش عالة بغير عمل فسمحت لها بأن تكتب لى بعض خطاباتى وأن تساعدنى فى بعض أعمالى رغم كثرة الخدم كما تعلم، ويعلم الله أننى أعاملها كما لو كانت ابنة لى . فلا ألبسها إلا أغلى الثياب ولا أطعمها إلا أشهى الطعام .

ورغم هذه السنوات الخمس فالفتاة لم تظهر استعدادا للكلام عن ماضيها مطلقا . وكل مافهمته منها أنها فقدت أبويها وليس لها أقارب على وجه الحياة، وشعرت بأنها فتاة تعسة فلم أتكلم معها فى هذه النقطة بعد ذلك .

— وما اسمها ياأماه ؟

— فردوس ياعزيزى ويخيل إلى أنه الشىء الوحيد الذى صارحتنى به دون أن أسألها عنه . وأظنها ذكرته دون تفكير بحسب العادة .

— فردوس ؟! لقد تذكرتها الآن تماما ياأماه . وإذا لم تخطىء عيناى فانى رأيت هذه الفتاة بذاتها فى القاهرة عندما كنت أقيم مع خالى أثناء دراستى الثانوية، فقد كانت تقيم فى منزل كبير يواجه منزلنا، وكنت أراها من حجرتى أثناء مذاكراتى وهى جالسة بجانب نافذة صغيرة بغرفة منعزلة فى سطح ذلك المنزل الذى كان منزل والدها، وكان الجميع يشيعون الكثير عن قسوة هذا الوالد وظلم زوجته للفتاة المسكينة التى كانو يسمونها حينئذ الفتاة السجينة .

وصمت قليلا ثم قال : أجل إنها هى ياأماه لاريب فى ذلك وإنى لدهش كيف ألقت بها المقادير فى منزلنا وأسائل النفس عما فعل والدها القاسى بعد فرارها .

فأجابت الوالدة — إنك تدهشنى ياعصام بأقوالك هذه؛ وعلى كل حال دع هذه المسألة لى فانى سأتأكد منها حتما غدا أو بعد غد إن شاء الله بعد انتهاء حفلة الليلة .

— على أن تعدينى بعدم مفاتحتها فى هذا الأمر الليلة يا أمى العزيزة فانى أوثر أن تكون تلك البائسة مبتهجة بالحفلة مثلنا .

— أعدك بذلك يا بنى .

— شكرا يا أماه ، والآن أتركك قليلا لإبدال ملابسى .

— اذهب مصحوبا بسلامة الله يا عزيزى .

ومضى الوقت سريعا واستعد الجميع لاستقبال الضيوف الذين قد أتوا من مختلف البقاع لمجاملة الباشا بعودة نجله الوحيد ، وظل الخدم فى غدو ورواح والوفود تترى على المنزل من آن لآخر ، بينما امتلأت حديقة المنزل المترامية الأطراف بمئات السيارات التى كانت تبرق بألوانها الزاهية تحت قوة الأنوار المتلألئة بالحديقة وفوق الأشجار ؛ إلى أن التأم أخيرا عقد المدعوين ، فامتلأ بهم المنزل حياة ونشاطا ، ومضى بعض الوقت فى رقص وغناء ، وأخيرا أطلقت الحرية للمدعوين يتنقلون فى أرجاء المنزل كما شاءوا ، فهرع الشباب منهم ؛ هذا إلى الحديقة وذاك إلى الشرافة كل كما شاء وما يشاء .

أما فى الصالون فقد اجتمع الشيوخ فى وقارهم المعهود يتنادرون بأقاصيص صباهم وأيام فتوتهم ، بينما جلس كبار السيدات ينصتن لأحاديثهم متحسرات على ربيع العمر الذى ولى .

وعندئذ فقط حدثت نهاية قصتنا هذه ، وذلك عند ما دخل عصام أخيرا إلى هذا الجمع الملتئم بصحبة والدته ووصيفتها التى كانت ترفل فى أغلى الثياب وأجملها ، ووجهها يتلألأ بشرا وعيناها تشعان فرحا واطمئنانا .

وتأخر عصام قليلا لتتقدم والدته ، وما أن تبعها إلى الأمام خطوة حتى وقف ينظر إلى أحد الأشخاص محملقا ، ثم التفت بحركة لاشعورية إلى الفتاة التى كان يحجبها بجسده فكانت هذه اللفتة كافية للفتاة لأن تنظر إلى الأمام وترى ما رآه .

ولم يلبث الجميع أن فوجئوا بصرختين حادتين إحداهما من أحد كبار المدعوين والأخرى من فردوس الفتاة البائسة .

ولم تزد هاتان الصرختان عن أبى ... ابنتى ...

ودهش الجميع بهذا إلا عصام ووالدته وظلوا برهة ساهمين وكأن على رءوسهم الطير ... وما لبثوا أن استيقظوا على صوت عصام وهو يصيح :

— فردوس ، فردوس ، لقد اختفت يا أماه .

وهرع كالمجنون يتبع الفتاة المنكودة التى أسرعت إلى النهر الصغير وقبل أن يبلغه كانت قد ألقت بنفسها بين أمواجه الصاخبة مرة أخرى .

وقذف بنفسه يتبعها ، وعاد بها إلى الشاطىء وهو يبكى كطفل فقد أمه منه ، وركع على الرمال البـاردة ممددا جسد الفتاة أمامه فى خوف ولوعة ، وظل بعض الوقت يحاول بالتنفس الصناعى أن يعيد إليها الحياة ولكن ما هذا الذى يسمع ؟

كانت تملأ أذنيه أصوات بعيدة كأنها تأتى من السماء تشبه أصوات جمع من الأطفال ينشدون ويحتفلون بزفاف عروس ، وكانت ضجة يرتفع من بينها فى كل مقطع صوت ضعيف هادىء تصحبه قيثارة حزينـة النغم منسجمة اللحن ، وما لبث النغم أن توقف قليلا عند ما فتحت الفتاة شفتيها قائلة فى خفوت :

— أماه ، أحقا ستأخذينى إليك ؟ . أجل خذينى ، وضمينى إليك بقوة ثم ضمى ذراعيك حولى ، ورأسى على صدرك ، كم أنت رحيمة يا أماه .

*
* *

وتوقف الهمس ثانيا ليعود نشيد الأطفال فى السماء ، وقد انضم إليه صوت جديد مرحبا بقادم جديد .

سميـر

تم طبع هـذه المجلة بالمطبعة الأميرية ببولاق
فى يوم ٢٣ من ذى الحجـة سـنة ١٣٦٢
(٢١ ديسمبر سنة ١٩٤٣)

مدير المطبعة الأميرية

محمد بكرى

المطبعة الأميرية ٦٠-٩٠٦-١٩٤٣-٣٥٠٠٠